ISSN: 2708 - 1796
ISSN: 2708 - 180X

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

(تصدر كل ٦ أشهر مؤقتاً)

السنة السادسة عشرة العدد السابع والثلاثون

١٤٤٢/١١/٢٠هـ. / ٢٠٢١/٦/٣٠ مـ.

رئيس التحرير والمدير المسؤول:
أ. د. سعد الدين بن محمد الكبي

مدير التحرير:
الدكتور محمود بن صفا الصياد العكلا

المراسلات:
لبنان - طرابلس ص. ب.: 208
تلفاكس: 00961 6 471 788
بريد الكتروني:
albahs_alalmi@hotmail.com

الحوالات المصرفية باسم:
• مجلة البحث العلمي الإسلامي
بنك البركة - لبنان - طرابلس
حساب رقم: 13903
• ويسترن يونيون - لبنان طرابلس

www.boukharysrc.com

مجلة البحث العلمي الإسلامي

العدد السابع والثلاثون، السنة السادسة عشرة ١٤٤٢/١١/٢٠هـ - الموافق ٢٠٢١/٦/٣٠ م.

هيئة التحرير

أ. د.: سعد الدين بن محمد الكبي
رئيس التحرير والمدير المسؤول

الدكتور محمود بن صفا الصياد العكلا
مدير التحرير

فضيلة الشيخ يوسف طه
سكرتير التحرير

الأستاذ مصعب الكبي
سكرتير إداري

الهيئة الاستشارية

الأستاذ الدكتور مبارك بن سيف الهاجري
(عميد كلية الشريعة سابقاً - جامعة الكويت)

الأستاذ الدكتور بسام خضر الشطي
(أستاذ في كلية الشريعة - جامعة الكويت)

الأستاذ الدكتور عمر عبد السلام تدمري
(أستاذ بالجامعة اللبنانية سابقاً)

الأستاذ الدكتور وليد إدريس المنيسي
(رئيس الجامعة الإسلامية بمنيسوتا)

الأستاذ الدكتور أحمد منصور سبالك
(رئيس الجامعة الإسلامية العالمية)

الدكتور شوقي نذير
(أستاذ محاضر جامعة تمنراست، الجزائر، رئيس تحرير مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والإقتصادية)

بالتعاون مع أساتذة في الجامعات العربية والإسلامية

المحتويات
العدد السابع والثلاثون، السنة السادسة عشرة ٢٠/١١/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠٢١/٦/٣٠م.

افتتاحية العدد ٥

- **التقوى عند ابن جزي**

د. علي بن مناور بن ردة الجهني ٩

- **مَنْهِيَّاتٌ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَقِّ مُقْتَرِفِيهَا: «لَيْسَ مِنَّا» أَوْ «مِنِّي»**

د. محمد بن ماهر بن محمد المظلوم ٣٠

- **تعزيز السلم الأهلي من خلال ابتعاد الخطاب الديني عن الإفراط والتفريط**

د. محمد مطلق محمد عساف ١٢٤

- **سد الذرائع وعلاقته بالأمن الفكري**

د. علي ملحم حسن ١٤٦

- **الأحاديث المتعلقة بتعامل النبي ﷺ مع غير المسلمين في كتاب البيوع من صحيح الإمام البخاري دراسة فقهية**

د. راشد بن محسن آل لحيان ١٦٣

- **الشَّاكِلَةُ الشَّخصِيَّةُ وأثرُها في الاجتِهادَاتِ الشَّرعيَّةِ**

أ.م.د. محمد فؤاد ضاهر ٢١٥

- **رفع العتاب عن ابن الخطَّاب (رضي الله عنه) في موقفه حين قال النبي ﷺ: «ائتوني بكتاب...»**

الشيخ الدكتور محمد إبراهيم الزغبي ٢٥٥

الدكتور محمد مطلق محمد عساف
أستاذ مشارك في الفقه وأصوله
منسق برنامج دكتوراه الفقه وأصوله المشترك بين جامعات القدس والنجاح والخليل
ورئيس قسم الاقتصاد والتمويل الإسلامي في كلية الدعوة وأصول الدين جامعة القدس فلسطين

تعزيز السلم الأهلي
من خلال ابتعاد الخطاب الديني عن الإفراط والتفريط

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع السلم الأهلي وتعزيزه بين الناس، وذلك من خلال توسط الخطاب الديني، وابتعاده عن كل صور الإفراط والتفريط، ويهدف البحث إلى معالجة بعض المظاهر الاجتماعية السلبية، كالعنف والتطرف والجهل والتعصب.

ويبين البحث أن الخطاب الديني يجب أن يخلو من كل مظاهر الإفراط والغلو، كالغلظة في القول، والخشونة في الأسلوب، والتعصب للرأي، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، والتزام التشديد مع قيام موجبات التيسير، واتهام الآخرين بناء على سوء الظن بهم، والتفتيش عن عيوب الآخرين، وعدم التماس العذر لهم.

كما يبين البحث أن الخطاب الديني لا يصح أن يتأثر بباعث من بواعث التفريط، كالخوف أو الكسل أو ضعف الإيمان، أو اتباع الشهوات ووساوس الشيطان، أو الجهل بالدين، أو الانجرار وراء شبهات المفسدين وتقليدهم.

ثم ينتقل البحث بعد ذلك إلى بيان أسباب ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط، وما يترتب على ذلك من آثار سيئة في المجتمع، كالتفرق والتنازع والتوتر والفشل، ويوصي ببعض ما يجب عمله من أجل العودة إلى توسط الخطاب الديني لتوطيد السلم الأهلي في المجتمع.

Reinforcing societal peace by distancing the Religious narrative from excess and deficiency

Abstract:

This paper deals with domestic peace and how to reinforce it among people, through the dissemination of moderate Islamic narrative, and by avoiding all forms of extremism. It also aims at providing solutions to some social problematic phenomena such as violence, extremism and identity crisis.

It also demonstrates that the Islamic religious narrative must be devoid of all forms of extremism and fanaticism, such as the use of harsh language and methodology, closed mindedness, not recognizing the other's opinion, subscribing to difficult to fulfill positions despite the presence of conditions that justify the use of more lenient rulings, accusations leveled against others based on suspicion, looking for their shortcomings, and not giving them the benefit of the doubt.

This research paper also shows that the religious narrative should not be influenced by reasons that could lead to deficiency such as fear, laziness, weak faith, following lust, Satan's whispers, ignorance about religion, or drifting behind fallacies.

Thereafter, the paper lists the reasons behind distancing the religious narrative away from moderation, and the negative implications for the society such as divisions, conflicts, tension and failures.

It finally concludes with some suggestions as to what should be done to reclaim the moderate religious narrative to reinforce civil peace within the society.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله المرسلين، نبينا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وعلى من اختط سبيله وارتضى منهجه إلى يوم يلقاه، أما بعد:

فإن السلم الأهلي لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان الخطاب الديني في المجتمع يتسم بالتوسط، والالتزام بالأساليب المهذبة والأخلاق الرفيعة، والابتعاد عن كل صور الإفراط والتفريط والتعصب.

مشكلة البحث وأسئلته: يعالج البحث مشكلة ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط، وانحرافه

نحـو طـرف الغلو والإفراط، أو تمثيله لصـورة من صور التفريط والانفلات، وقـد رأى الباحث أن يكتب في هذا الموضوع من أجل الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي أسباب ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط؟ وما الآثار السيئة التي تترتب على ذلك؟
- ما هي مظاهر الإفراط والغلو في الخطاب الديني؟ وكيف يمكن تنقيته من تلك المظاهر؟
- ما هي بواعث التفريط والانفلات في الخطاب الديني؟ وكيف يمكن حمايته من التأثر بها؟
- مـا الذي يجب عمله من أجل العـودة إلى توسط الخطاب الديني لتوطيد السلم الأهلي في المجتمع؟

أهميـة البحث: يتناول هذا البحث بيـان العلاقة بين السلم الأهلي وتوسط الخطاب الديني، ويوضـح أن ابتعاد الخطـاب الديني عن كل صور الإفراط والتفريط أحد أهم أسباب توطيد السلم الأهلي في المجتمع، كما يُبين أسباب وآثار ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط، ويؤكد على ضرورة العـودة إلى توسط الخطـاب الديني من خلال معالجة أسباب ابتعـاد ذلك الخطاب عن التوسط؛ لأن معالجـة الأسباب هي فـي حد ذاتها وقاية من الآثار والنتائج السيئـة التي تترتب على الابتعاد عـن التوسط، وتـؤدي إلى حرمان المجتمع من السلم الأهلي، فمعالجـة الأسباب تؤدي إلى العودة للتوسـط الذي يحقق السلم الأهلي، ويُنهي التفرق والتنازع والاقتتال، ويحمي المجتمع من الهلاك والفشل والدمار.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، منها:

- تنقيـة الخطـاب الديني من كل مظاهر الإفراط والغلـو، كالغلظة في القول، والخشونة في الأسلوب، وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، والتزام التشديد مع قيام موجبات التيسير.
- معالجة بعض المظاهر الاجتماعيـة السلبية، كالعنف والتعصب والجهل، واتهام الآخرين بناء على سوء الظن بهم، والتفتيش عن عيوب الآخرين، وعدم التماس العذر لهم.
- حمايـة الخطـاب الديني من أن يتأثر بباعـث من بواعث التفريط، كالخـوف أو الكسل أو ضعف الإيمان، أو اتباع الشهوات ووساوس الشيطان، أو الجهل بالدين، أو تقليد المفسدين.
- بيـان أسبـاب ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط، ومـا يترتب على ذلك من آثار سيئة في المجتمع، كالتفرق والتنازع والتوتر والفشل.
- معالجـة أسباب ابتعاد الخطاب الديني عن التوسـط؛ حيث إن معالجة الأسباب تؤدي إلى العـودة للتوسط الذي يحقق السلم الأهلي، ويُنهـي التفرق والتنازع والاقتتال، ويحمي المجتمع من الهلاك والفشل والدمار.

الدراسات السابقة: فيما يتعلق بموضوع الوسطية في الإسلام بشكل عام، توجد عدة دراسات، منها:

- الوسطية في الإسلام، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، بيروت، مؤسسة الريان، ط١، ١٣٩١هـ.

- مشكلة الغلو في العصر الحاضر: الأسباب والآثار والعلاج، عبد الرحمن اللويحق، ط١، ١٤١٩هـ.

- الوسطية في الفكر الإسلامي، أريج إبراهيم صبري، رسالة ماجستير، جامعة القدس، ١٤٢٥هـ.

- تطوير الخطاب الديني، نصر بن محمد الصنقري، الإسكندرية، دار الإيمان، ط٢، ١٤٢٧هـ.

- الوسطية والاعتدال وأثرهما على حياة المسلمين، صالح آل الشيخ، الرياض، ط٢، ١٤٣٤هـ.

والذي يميز بحثي هذا عن تلك الدراسات هو معالجته لمسألة تعزيز السلم الأهلي من خلال ابتعاد الخطاب الديني عن الإفراط والتفريط، فهو لا يبحث في وسطية الإسلام بشكل عام، ولا في الخطاب الذي هو بمعنى الأحكام الشرعية التي خاطب الشارع بها المكلفين، وإنما يبحث في الخطاب الذي هو بمعنى سلوك الخطيب والأساليب التي يستخدمها لإيصال الأفكار للمخاطبين.

منهجية البحث وخطته: اعتمدت في كتابة هذا البحث على المنهج الوصفي، مع الاستعانة بالمنهجين الاستنباطي والاستقرائي، وقد تم تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان مشكلة البحث وأهميته وأهدافه ومنهجيته والدراسات السابقة وخطة البحث.

المبحث الأول: معنى السلم الأهلي وتعزيزه من خلال توسط الخطاب الديني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى السلم الأهلي وعلاقته بتوسط الخطاب الديني.

المطلب الثاني: المقصود بالخطاب الديني وتوسطه.

المبحث الثاني: لا إفراط ولا تفريط في الخطاب الديني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: خلو الخطاب الديني من كل مظاهر الإفراط والغلو.

المطلب الثاني: ابتعاد الخطاب الديني عن كل صور التفريط والانفلات.

المطلب الثالث: رسم العهدة العمرية لنموذج علاقة المسلمين بغيرهم دون إفراط ولا تفريط.

المبحث الثالث: أسباب وآثار الابتعاد عن توسط الخطاب الديني، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط.

المطلب الثاني: آثار ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط.

المطلب الثالث: العودة إلى توسط الخطاب الديني لتوطيد السلم الأهلي.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث مع بعض التوصيات.

المبحث الأول: معنى السلم الأهلي وتعزيزه من خلال توسط الخطاب الديني

يتناول هذا المبحث بيان المقصود بكل من: السلم الأهلي، والخطاب الديني، ويوضح أن توسط الخطاب الديني هو أحد أهم أسباب تحقيق السلم الأهلي في المجتمع، حيث يؤدي إلى الابتعاد عن كل صور الإفراط أو التفريط، وقد تم تقسيم المبحث إلى مطلبين:

المطلب الأول: معنى السلم الأهلي وعلاقته بتوسط الخطاب الديني

يأتي السِّلْم في اللغة بمعنى الصلح والأمان والمسالمة[١]، وهو نقيض الحرب[٢]، والسلام: السلامة[٣]، ومنه تسمى الجنة: دار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات، أما في الدنيا، فالسلام هو أمان الله عز وجل في الأرض، والسلامة والنجاة من الفتن[٤].

وبما أن كل مجتمع يتكون من مجموعة من البشر؛ فإن السِّلْم بين أفراد المجتمع يعني في الاصطلاح: أن يسلم ويأمن كل واحد من أن يناله ألم من الآخر[٥]، ويتحقق هذا السلم عند وجود المظاهر الإيجابية في المجتمع، مثل الهدوء والاستقرار والتفاهم والاتفاق، وعند غياب المظاهر السلبية، مثل التنازع والتحارب والعنف والصراع، فالسلم الأهلي هو عبارة عن حالة الوفاق والوئام والتفاهم والانسجام داخل المجتمع نفسه، حيث إن سلامة العلاقات الداخلية بين أبناء المجتمع علامة على استقراره وإمكانية نهوضه.

وهذا يعني أن متانة العلاقات الاجتماعية أحد أسباب النهوض في المجتمع؛ لأنها تجعل

(١) الجوهري، الصحاح، مادة سلم، ١٩٥١/٥.

(٢) الزبيدي، تاج العروس، مادة حرب، ٢٤٩/٢. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، باب السين، ٤٤٦/١.

(٣) الرازي، مختار الصحاح، مادة سلم، ص١٥٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، مادة سلم، ٢٩١/١٢.

(٥) أبو جيب، القاموس الفقهي، ص١٨١.

المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وهذا ما حصل في الدولة الإسلامية في عهد النبوة، فشبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو المؤاخاة التي ربطت بين الأنصار والمهاجرين، ثم الميثاق الذي وضح وحدد العلاقات مع سائر سكان المدينة المنورة[1]، وهذا ما يتضح أيضًا من خلال العهدة العمرية التي تتجلى أهميتها في تنظيم علاقة المسلمين مع غيرهم، وبيان سماحة الإسلام وعدله واحترامه لمعتقدات الآخرين، وحرية أداء شعائرهم الدينية في أماكن عبادتهم.

وهذا يتفق مع التعاليم التي تشكل رؤية الإسلام لترسيخ السلم الأهلي وحمايته وتنميته عن طريق الدعوة إلى التزام التوسط في الخطاب الديني والأمر بحسن التعامل مع المخاطبين ورعاية مشاعرهم واحترام أحاسيسهم، كقوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[2]، وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[3]، وقوله: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[4]، فعلى الداعية اتباع هذه الحكمة التي رسمها القرآن الكريم، ولعل من الحكمة «التركيز على القواسم المشتركة، لا على نقاط الاختلاف، فإن وجود أرض مشتركة بين الناس يساعد على جدية الحوار وجدواه، وإمكان الانتفاع بما هو متفق عليه، وليس من الحكمة دوام التطرق إلى نقاط الخلاف وإثارتها؛ لأن ذلك يزيد في الفرقة والصراع»[5]، والمقصود بذلك الاختلاف المقبول، كاختلاف مذاهب أهل السنة فيما بينهم؛ فليس من الحكمة الاعتقاد باحتكار الفهم الأرجح في حالات الاختلاف المقبول؛ لأنه ينجم عن ذلك الإقصاء لأي اجتهاد مخالف.

فالأصل أن يحمل الخطاب الديني خصائص الإسلام، فيكون توسطه بمثابة الوقاية الحامية من كل مظاهر الاحتقان والقمع والكراهية والحقد بين الناس، وبمثابة العلاج القوي والفاعل لكل عوامل التفرق والتنازع بين أفراد المجتمع وشرائحه ومكوناته، أما الخطاب الذي يضخم نقاط الاختلاف، ويقوم بالتحريض تحت عناوين المذهبية أو الحزبية أو القبلية، ويدعو إلى القمع أو

(١) مالك بن نبي، سلسلة مشكلات الحضارة ـــ ميلاد مجتمع، ص١٠٣.

(٢) سورة الإسراء، آية ٥٣.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٤٦.

(٤) سورة النحل، آية ١٢٥.

(٥) الشاعر، خطبة الجمعة وشروط نجاحها في ظل المتغيرات المعاصرة، منشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) مجلد ٢٢(٣)، ٢٠٠٨م، ص٩٧٨.

اتباع الهوى أو مصادرة الرأي، فهو ليس من الإسلام في شيء[١].

فالخطاب الإسلامي الصحيح هو الذي يتسم بالتوسط، ويعمل على ترسيخ السلم الأهلي في المجتمع، وهي مهمة قد تكون صعبة في زمن عَزَّ فيه التوافق، وحل محله التنازع، فوجب على دعاة الإسلام أن ينهضوا لمواجهة ذلك بإصلاح ما فسد، وأن يعملوا لاستعادة السلم الأهلي، باعتباره المؤشر الأول على استقرار الحياة العامة وقدرة المجتمع على النهوض والتقدم والتطور الإيجابي.

فاستقرار المجتمعات ضروري لنهضتها، ولا يتحقق الاستقرار إلا بوجود السلم الأهلي، ولا يوجد السلم الأهلي إلا في ظل التوسط والاعتدال في كل جوانب الحياة والتي منها جانب الخطاب الديني.

المطلب الثاني: المقصود بالخطاب الديني وتوسطه

كلمة الخطاب في اللغة معناها: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابًا[٢]، ورجل خطيب: حسن الخُطبة[٣]، والخُطبة: اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، وقد خطب على المنبر خُطبة وخطابة[٤].

والخطاب اصطلاحا هو: «اللفظ المُتَواضَع عليه المقصود به إفهام من هو مُتَهَيئ لفهمه»[٥] وعلى هذا يكون معنى الخطاب هو: إيصال الأفكار إلى الناس بواسطة الكلام المفهوم، ولذلك جاء تعريف الحكم الشرعي بأنه: خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين طلبًا أو تخييرًا أو وضعًا[٦].

والخطاب الديني هو المنسوب إلى الدين، وهو وسيلة توصيل المعنى الذي قصده الشارع إلى المخاطب به، وبما أن المقصود هنا هو الدين الإسلامي، فيكون معنى الخطاب الإسلامي هو إيصال أفكار الإسلام وأحكامه إلى الناس، وتبليغهم الرسالة التي أوحى الله عز وجل بها إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لتنظيم علاقات البشر مع خالقهم ومع غيرهم ومع أنفسهم.

والخطاب الإسلامي متوسط معتدل في أصله، فالتوسط من خصائصه ومقاصده، ولسنا نحن الذين نضفي عليه التوسط، فدين الله عز وجل لا يحتاج إلى أحد ليوسطه أو يعدله، والأصل أن يغني وضوح معنى التوسط في الخطاب الديني عن تعريفه، ولكن محاولات الاستيلاء عليه

(١) اليحيى، الوسطية الطريق إلى الغد، ص١٦٠.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة خطب، ٣٦١/١.
(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة خطب، ص٨١.
(٤) الرازي، مختار الصحاح، مادة خطب، ص٩٢.
(٥) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ٩٥/١.
(٦) خلاف، علم أصول الفقه، ص١٠٠. الجديع، تيسير علم أصول الفقه، ص١٧.

تحتم علينا تعريفه؛ لأنها حولته إلى مصطلح ذي دلالات متعددة لتجاذب عدة أطراف له، بل وصل الأمـر إلـى تحويله إلى مسكن مؤقـت لمعالجة قضايا آنية، وتوظيفها لتحقيـق مصالح فئة أو جهة معينة، أما عند من يتأثر بالسنوات الخداعات التي تتبدل فيها معاني المصطلحات، فقد تم تبديل معنـى التوسط إلى معاني البساطة والتخاذل واللين والتنازل، ليخدم الراغبين بالاستسلام بثمن بخس، فكان لا بد من تعريفه حتى لا يكون توسط اللين والتخاذل، أو خطاب البساطة والتنازل[٧].

والخطـاب الديني قـد يطلق ويراد به الأحكام الشرعية التي هي خطـاب الشارع نفسه، وقد يطلـق ويراد به سلوك الخطيب ووسائله وأساليبـه لتوصيل تلك الأحكام، فإذا كان بمعنى الأحكام الشرعية التي خاطب الشارع بها المكلفين، فهو خطاب يمتاز بالتوسط في أصله، ولا يقبل من أحد أن يغيـره بحجة إضفـاء التوسط عليه، فيكون ما بَيَّنه الشارع في هذه الحالة هو التوسط بعينه[٨]، وأي تغييـر فيه يكون من نزعـات الشيطان التي تبعده عن التوسط إلى الإفـراط أو التفريط، فإنه «مـا أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلـى تفريط، وإما إلى مجاوزة وهي الإفراط»[٩]، ودين الله عز وجل وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، فميزان التوسط المقصود بهذا المعنى هو نصوص الكتاب والسنة والأدلة الشرعية المعتبرة، فهي المختبر الذي نميز من خلاله بين التوسط الذي جاء به الإسلام، والتوسط الذي يقود إلى الانهزام، فلا توسط خارج معنى النصوص والأدلة الشرعية، فالشريعة متوسطة منذ أن نزلت من السماء.

أمـا إذا كان الخطاب الديني بمعنـى سلوك الخطيب والوسائـل والأساليب التي يستخدمها لإيصـال الأفكار والأحـكام الشرعية إلى الآخريـن، فعندئذ تبرز الدعوة إلـى التوسط والمجادلة بالتـي هي أحسن، ويكون الإخلاص وحده غيـر كاف لأداء وظيفة الدعوة، بل يلزم معه العلم وفهم مقاصد الشريعة والإحاطة بواقع الناس وحاجاتهم.

وهنـا يكون معنـى التوسط الذي يجب أن يقـوم عليه الخطاب الديني هـو أن يلتزم صاحبه بالأسلـوب المهذب والخلق الرفيع والتواضع الجم والفهم الصحيح للنصوص والبعد عن التعصب والعنصريـة والتشدد والغلـو، فيكون التوسط بهـذا المعنى عكس التطرف، حيـث يطلق التطرف الدينـي علـى القائل المخالف للشرع؛ لأنـه يفهم النصوص فهمًا بعيدًا عـن مقصود الشارع وروح الإسـلام، مما يوصله إلى إحدى النتيجتين المذمومتين، وهما الإفراط أو التفريط، ولذلك عندما ذكـر الشاطبي آداب المفتي أوجب عليه أن يحمل النـاس على التوسط والاعتدال، فلا يذهب بهم

(٧) اليحيى، الوسطية الطريق إلى الغد، ص٦٣.

(٨) آل الشيخ، الوسطية والاعتدال وأثرهما على حياة المسلمين، ص١٨.

(٩) ابن القيم، مدارج السالكين، ١٠٨/٢.

مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال، وبين أن هذا التوسط هو الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة، وعلى هذا يكون الميل إلى الرخص في الفتيا بإطلاق مضادًا للمشي على التوسط، كما أن الميل إلى التشديد مضاد له أيضًا، والوسط هو معظم الشريعة وأم الكتاب، ومن تأمل موارد الأحكام بالاستقراء عرف ذلك[١].

فالخطاب الديني بكل صوره هو وسيلة إيصال الشريعة والدين للناس، ولذلك يجب أن يقوم على التوسط وأن يبتعد عن التطرف، ولا يصح أن يتسم بأنه انفعالي متشدد، ولا بأنه انفتاحي متسيب، كما يجب أن يراعي المتحدث أحوال المخاطبين، وأن يتجنب الإسراف في فتح باب الأمل في النجاح والنصر ولو دون عمل، أو باب اليأس والقنوط حتى مع العمل.

المبحث الثاني: لا إفراط ولا تفريط في الخطاب الديني

منهج التوسط الذي يقوم عليه الإسلام سماه الله عز وجل «الصراط المستقيم»؛ فهو المنهج المتوسط المعتدل الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف[٢]، وهو لا يقتصر على الأمور الباطنة، بل يكون أيضًا في جميع الأفعال والأقوال الظاهرة[٣]، ومنها الخطاب الديني الذي يجب أن يتسم بالتوسط، ويبتعد عن الإفراط أو التفريط[٤]، فهو خطاب الخير والعدل لتوسطه بين الطرفين المذمومين، ولأن الآفات إنما تتطرق إلى الأطراف، بينما الأوساط محمية بأطرافها، فخيار الأمور أوساطها[٥].

وهذا المبحث يبين في مطلبه الأول أن الخطاب الديني يجب أن يخلو من كل مظاهر الإفراط والغلو، ويتناول في المطلب الثاني ابتعاد الخطاب الديني عن كل صور التفريط والانفلات، ثم يبين في المطلب الثالث كيف أن العهدة العمرية قد رسمت نموذجًا لعلاقة المسلمين بغيرهم دون إفراط ولا تفريط.

المطلب الأول: خلو الخطاب الديني من كل مظاهر الإفراط والغلو

الإفراط لغة: الإسراف والاعتداء والإكثار ومجاوزة الحد[٦]، ويستعمل في تجاوز الحد من جانب الزيادة والمبالغة في قول أو فعل[٧]، وكذلك الغلو يأتي بمعنى التشدد والتصلب ومجاوزة

(١) الشاطبي، الموافقات، ٢٧٨/٥.
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤٩/١.
(٣) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ٩٢/١.
(٤) الميداني، الوسطية في الإسلام، ص٨٢.
(٥) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ص١٨٨.
(٦) ابن منظور، لسان العرب، مادة فرط، ٣٦٩/٧. الزبيدي، تاج العروس، مادة فرط، ٥٢٨/١٩.
(٧) الجرجاني، التعريفات، ص٣٢. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ٣٠٧/١.

الحد، وقد غالى في الأمر غلوًا ومغالاة: بالغ فيه حتى جاوز الحد والحسن[١].

وعلى هذا يكون معنى الإفراط والغلو في الخطاب الديني: هو خروج ذلك الخطاب عن توسطه إلى المبالغة الزائدة، ومجاوزة حد الحق بتحميل الأقوال والأفعال فوق ما تحتمل، أو بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق[٢]، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو فقال:«إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٣].

وهنالك مظاهر عديدة للغلو والإفراط الذي لم يأذن به الله عز وجل ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، يجمعها أنها خروج عن منهج التوسط، ومن هذه المظاهر: التعصب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر، فإذا كان الرأي الذي يتبناه الخطيب أو الداعية من الأحكام التي تقبل الاجتهاد وتتعدد فيها وجهات النظر، فلا يصح أن يتعصب لرأيه، بل يجب أن ينظر إلى رأيه على أنه صواب يحتمل الخطأ، وينظر إلى الرأي الآخر على أنه خطأ يحتمل الصواب، كما لا يصح التعصب للشيوخ، لأنه يفسد أحوال الشيوخ والتلاميذ معًا، فيجعل التلاميذ لا ينظرون إلى عيوب شيوخهم، بل يقدسونهم ويكرهون نظراءهم أو من هم أفضل منهم، ويجعل الشيوخ يستغلون ثقة تلاميذهم العمياء بهم، مما قد يؤدي إلى انحرافهم عن مرضاة الله إلى تحقيق مصالح أنفسهم[٤].

ومن مظاهر الإفراط والغلو أيضًا: الغلظة في المعاملة والخشونة في الأسلوب والتكبر على المخاطبين، فالله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٥]، وهذا يعني أن الغلظة في الخطاب الديني تبعد الناس عن الخطيب وتزيد من عوامل الفرقة بين أفراد المجتمع، والأصل أن يبذل الخطيب جهده للتقريب بين الناس ومعالجة عوامل الفرقة بين أفراد المجتمع وشرائحه ومكوناته السياسية والعرقية[٦]، كما ينبغي التماس العذر للآخرين، فالخطاب الديني الصحيح يرفض التفتيش عن عيوب الآخرين، أو اتهامهم بسبب المخالفة في الرأي الاجتهادي[٧].

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٣١٨. مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ٢/٦٦٠.

(٢) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، ١/٣٢٨. نوح، آفات على الطريق، ٣/١٩٤.

(٣) أخرجه النسائي في السنن الصغرى، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ٥/٢٦٨، حديث رقم (٣٠٥٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/١٧٧، حديث رقم (٢١٤٤).

(٤) الميداني، الوسطية في الإسلام، ص١٨٦.

(٥) سورة آل عمران، آية١٥٩.

(٦) الشاعر، خطبة الجمعة وشروط نجاحها، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد ٢٢(٣)، ص٩٧٨.

(٧) صبري، الوسطية في الفكر الإسلامي، ص٩٠.

عــلاج الغلو والإفــراط: يكون علاج الغلو والإفــراط بالعودة إلى الإســلام الحق ليكون منهج حيــاة ونجــاة، فهــو منهج التوســط والاعتدال الــذي يجعل من الخطــاب الديني عامــل استقرار، فيجــب علــى الدعاة الذين وقعــوا في نوع من الغلــو أن يصححوا منهجهم ويُقَوِّمــوا أفكارهم حتى يعرفوا دينهم على بصيرة، ويجب على الناس فهم الأحكام من العلماء والفقهاء، وليس من الذين يتصــدون للفتــوى بغير علم[١]، وذلك حتــى لا يتأثروا بما يسعى إليه دعــاة الشر والفساد من نشر للكراهية والحقد، وتضخيم لنقاط الاختلاف، واشتغال بالتعبئة والتحريض تحت عناوين الحزبية والمذهبية والقبلية والطائفية ونحو ذلك.

المطلب الثاني: ابتعاد الخطاب الديني عن كل صور التفريط والانفلات

إذا كان الإفــراط يستعمــل في تجــاوز التوسط من جانــب الزيادة والمبالغة، فــإن التفريط يستعمل في تجاوز التوسط من جانب النقصان والتقصير[٢]، وقد فَرَّط في الشيء تفريطًا: قصر وأظهر العجز فيه وضيعه حتى فات[٣].

وانحــراف الخطــاب الديني مــن التوسط إلى طــرف التفريط، لــه بواعث كثيــرة، لعل من أخطرهــا: الجهــل بالدين، وما يترتب عليه من فهم سقيــم أو تطبيق خاطئ لأحكام الدين أو غفلة عــن مقاصــد التشريع الإسلامــي[٤]، فالجاهــل يتأثر بما ينفثه دعــاة الشر والفســاد من تشكيك وتضليــل بقصد إبعاد الناس عن منهج الله وصراطــه المستقيم، كما يتأثر بما يسعى إليه الأعداء مــن تغييــر وتبديل وتحريف فــي جوهر الإسلام، بقصــد استهداف ثقافة الأمــة، التي هي العمود الفقري لوجودها وبقائها.

عــلاج التفريــط والانفلات: يكون عــلاج التفريط والانفلات بالالتــزام بالخطاب الإسلامي الصحيح الذي يحافظ دائمًا على توسطه، فلا يوغل في الانغلاق، ولا في الانفتاح والتحرر من كل القيود، ولا يصح أن يلوث هذا الخطاب بسلوكيات سيئة من بعض المنتمين إليه، إما بسبب خوفهم وضعــف إيمانهم، أو بسبب كسلهم واستسلامهم للراحــة، أو بسبب اتباعهم للشهوات والتوسع في المباحات[٥].

فالكســول وضعيــف الإيمان يبدأ بالتفلــت والتهرب من الالتزام بأحــكام الإسلام، ثم يتغلب عليــه الهوى فيتلاعب بأحكام الشرع، وتتحرك شهواته بالاتجــاه المنحرف، فيفرط في الواجبات

(١) القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص١٥٠.
(٢) الجرجاني، التعريفات، ص٣٢. قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ١٣٨/١.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة فرط، ٣٦٩/٧. الزبيدي، تاج العروس، مادة فرط، ٥٣٢/١٩.
(٤) الميداني، الوسطية في الإسلام، ص٨٤.
(٥) اليحيى، الوسطية الطريق إلى الغد، ص١٦٢.

ويقع في المحرمات، وينسى ما قرره القرآن الكريم من أن العمل للآخرة أسمى وأبقى من الإغراق في شهوات الدنيا: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[1].

ويكون علاج التفريط والانفلات أيضًا بالابتعاد عن التأثر بوساوس الشيطان التي تدفع الإنسان إلى التقصير في الدين، وإلى الانفلات من أحكامه بالتحايل والتهرب، فالشيطان هو عدو الإنسان الذي يقعد له الصراط المستقيم، ويأتيه من كل جهة وسبيل[2].

وللتفريط والانفلات في الخطاب الديني صور عديدة، منها: التفريط في المفاهيم الدينية والأحكام الشرعية، وذلك عن طريق التلاعب بدلالات النصوص للتخفيف من درجة الحكم الشرعي الذي يستفاد منها، أو التمسك بالآراء الاجتهادية الضعيفة التي تخالف الرأي الراجح الذي تقويه الأدلة، أو تتبع الرخص في المذاهب للأخذ بأسهل الآراء لمجرد التثاقل من التكاليف[3].

ومن صور التفريط أيضًا: التقصير في حفظ النصوص وتبليغها، والتفريط في الولاء والانتصار لدين الله عز وجل، والتفريط في نصرة المستضعفين من المسلمين[4]، والتفريط في نشر ما يحقق المودة والألفة في المجتمع، كإفشاء السلام والتهادي والتزاور وعيادة المريض ونحو ذلك من الصور التي تنشر المودة.

فالأصل في الخطاب الديني هو التوسط، وكل ما نقص عن ذلك كان تقصيرًا وتهاونًا وتفريطًا وانفلاتًا[5]، وهو من التغيير الذي يستهدف ثقافة الأمة، ويبعدها عن الخيرية والاعتدال.

المطلب الثالث:

رسم العهدة العمرية لنموذج علاقة المسلمين بغيرهم دون إفراط ولا تفريط

العهدة في اللغة من العهد: الوصية والأمر والموثق، كما يأتي العهد بمعنى الأمان والذمة ورعاية الحرمة، ويأتي كذلك بمعنى الوفاء، أو بمعنى المعرفة والإلمام، وتجتمع كل هذه المعاني على أصل الاحتفاظ بالشيء وعدم التفريط فيه[6].

وكلمة العمرية: نسبة إلى ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فالعهدة العمرية: «هي الوثيقة التي عقدها عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع نصارى بيت

(١) سورة الكهف، آية ٤٦.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ص٩٨.

(٣) الفرفور، الوسطية في الإسلام، ص ١٢٠.

(٤) صبري، الوسطية في الفكر الإسلامي،ص١٠٢.

(٥) الفرفور، الوسطية في الإسلام، ص١٢٢.

(٦) ابن منظور، لسان العرب. الفيروزآبادي، القاموس المحيط. الزبيدي، تاج العروس. مادة عهد.

المقدس»[1]، وقد كُتبت العهدة العمرية في القدس، وهي المدينة المقدسة التي لها أهمية كبيرة في نفوس المسلمين، وهي أرض الإسراء والمعراج التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[2].

فهي الأرض التي جعل الله تعالى حولها البركة في الأقوات والمعايش، وهي القبلة الأولى، وفيها ثالث المساجد التي لا تُشد الرحال إلا إليها؛ للدلالة على عظم قدرها[3]؛ فكان من الطبيعي أن يسعى المسلمون لفتحها؛ تحقيقًا لعالمية الدعوة[4].

وتتجلى أهمية العهدة العمرية في كونها تعكس عدل الإسلام، وإعطاء كل ذي حق حقه، وهذا سر من أسرار نجاحه وإقبال الأمم على الدخول فيه، واشتماله على نظام متكامل، يُنظم علاقة المسلمين مع غيرهم، كما أنها تعكس التسامح الإسلامي في أبهى صوره[5]، حيث جاء الإسلام يُخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته، دون أن يواجهه بالقهر والإكراه، فهو لا يُريد لأحد أن يعتنق هذا الدين تحت تأثير التهديد، أو الضغط القاهر بلا بيان ولا إقناع[6].

وقد تعددت نصوص العهدة العمرية، فكان نصها طويلًا عند الخلال والطبري وابن عساكر، بينما كان قصيرًا عند ابن خلدون وابن الجوزي، ويُعتبر نص الإمام الطبري للعهدة العمرية[7] هو أوثق وأصح النصوص سندًا عند علماء الحديث.

وكل النصوص تثبت أن العهدة العمرية قد سجلت أنصع صفحات الإسلام في تعامله مع الآخرين، حتى ولو كانوا في موقع الهزيمة والضعف، حيث احترم الإسلام خصوصيتهم كأهل كتاب، وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم وأماكن عبادتهم؛ فتتجلى أهمية العهدة العمرية من كونها تُبَيّن سماحة الإسلام وعدله واحترامه لمعتقدات الآخرين، وتسهيل وصولهم إلى أماكن عبادتهم لأداء شعائرهم الدينية، كما أنها تعمل على تعزيز السلم الأهلي، وتدل على ابتعاد الخطاب الديني الصحيح عن كل صور الإفراط والتفريط؛ حيث إن توسط الخطاب الديني هو أحد أهم أسباب تحقيق السلم الأهلي في المجتمع؛ لأنه يؤدي إلى الابتعاد عن كل صور الإفراط أو التفريط.

(١) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ١٥٦٩/٢.

(٢) سورة الإسراء، آية ١.

(٣) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، ٣٢٩/١٧.

(٤) الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، ص٢٥٩.

(٥) أبو صالح، العهدة العمرية نموذج للتسامح، ص٣١. أبو رومي، العهدة العمرية دراسة فقهية مقارنة، ص٩.

(٦) قطب، في ظلال القرآن، ٢٩١/١.

(٧) يُنظر النص في: الطبري، تاريخ الرسل والملوك = تاريخ الطبري، ٦٠٨/٣-٦٠٩.

المبحث الثالث: أسباب وآثار الابتعاد عن توسط الخطاب الديني

ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط له أسباب لا بد من معالجتها، وتترتب عليه آثار لا بد من التخلص منها من أجل العودة إلى الاستقرار وتحقيق السلم الاجتماعي في المجتمع، ولبيان ذلك تم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسباب ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط

يرجع الابتعاد عن التوسط في الخطاب الديني إلى أسباب متعددة، بعضها له علاقة بأعداء الإسلام وأساليبهم الشيطانية لتنفير الناس عن الدين، وبعضها له علاقة بالشخص نفسه، كجهله بحقيقة الدين، أو تعصبه واتباعه للأهواء أو لوساوس الشياطين.

أما عن الأسباب الخارجية التي تتعلق بأعداء الإسلام، فيلاحظ أن الخطاب الديني الحالي الذي يصفونه بأنه «متسم بالتشدد» هو في ذاته نتيجة لأسباب أخرى تتصل بالظلم والفساد وانحسار العدالة والهيمنة وغياب احترام كرامة الإنسان، وهذا يقتضي أن طريقة إعادة الخطاب الديني إلى توسطه تكون من خلال معالجة أسباب تشدده، وليس من خلال تغيير مضمونه[1].

وأما بالنسبة إلى الأسباب التي تتعلق بالشخص نفسه، وتؤدي إلى ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط إلى طرف الإفراط أو طرف التفريط، فأخطرها الجهل بقواعد الشريعة الإسلامية ومقاصدها، وما يقبل وما لا يقبل الاجتهاد فيها.

فالجهل إما أن يؤدي بصاحبه إلى الغلو والإفراط، وإما أن يؤدي به إلى التفريط والجفاء والتساهل في أمور الدين، حيث لا يستطيع الجاهل أن يربط بين الجزئيات والكليات، ولا أن يحاكم الظنيات إلى القطعيات، كما لا يعرف من فنون التعارض والترجيح والدلالات ما يستطيع به الجمع بين المختلفات[2]، وإذا انتسب هذا الجاهل إلى الخطاب الإسلامي، فإنه سيدخل في أبواب الابتداع، والابتعاد عن التوسط، والإفتاء بغير علم، وهذا ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[3]، فعندما يغيب العلماء الفقهاء يكثر الخطباء والدعاة الجهلاء، وعندئذ يفقد المجتمع السلم والهناء، ويقع في النزاع والشقاء.

(١) الصنقري، تطوير الخطاب الديني، ص٧.

(٢) القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص٦٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، ٣١/١، حديث رقم(١٠٠).

ويُعـد اتباع الأهـواء والشهوات من أهم أسبـاب ابتعاد الخطاب الديني عـن التوسط أيضًا، فمـن يتحكـم به هواه يخرجه عـن حد التوسط والاعتـدال والصراط المستقيـم، ويجره إلى أحد النقيضيـن المذمومين: إمـا الإفراط أو التفريط، ولذلك فقد حذر القرآن الكريم من اتباع الهوى فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾[2].

فـلا يصـح للخطيب أو الداعية أن يتخيـر من الأقوال ما يتناسب مع أهوائـه ورغباته، أو ما ينتصـر به لمذهبه وجماعته؛ لأن ذلك يوقعه فـي التعصب المذموم الذي يبعده عن التوسط بعدًا كبيـرًا، فالتعصـب للمذاهب والطرائق والمشايخ، وتفضيل بعضها علـى بعض بالهوى والعصبية، كله من دعوى الجاهلية[3].

المطلب الثاني: آثار ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط

التـزام التوسط فـي الخطاب الدينـي كفيل بتربية المجتمـع على الاعتـدال، وذلك بإيجاد الشخصية المتزنة المستقيمة القادرة على تطبيق الإسلام دون تشدد وغلو، ودون تساهل وتفريط، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق السلم الأهلي في المجتمع.

أمـا ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط، فإنه يؤدي إلى الميل عن الاعتدال، ثم إلى اختلال السلـم الأهلي بمقدار الابتعاد عن التوسط، فكلما اقتـرب الخطاب الديني من الأطراف زاد بعده عـن التوسط، وبالتالي زاد ظهور أثره في الحرمان من السلم الأهلي، فاقترابه من طرف التفريط يـؤدي إلـى التقصير في معرفة الأحـكام الشرعية وما يترتب عليها، واقترابـه من طرف الإفراط يؤدي إلى الإحداث في الدين ما ليس منه وإلى التشدد والغلو، وفي الحالتين يحصل التفرق والتوتر والتنـازع الـذي يؤدي إلى الفشـل؛ لأن ابتعاد الخطـاب الديني عن التوسط يجعلـه غير قادر على استيعـاب أكثر الناس استعـدادًا للتجاوب معه، علاوة عن كسب الآخريـن، وذلك بسبب التعصب المقيت الذي ذمه العلماء وحاربوه.

قـال الزرقانـي: «واعلم أن هناك أفـرادًا بل أقوامًا تعصبوا لآرائهـم ومذاهبهم، وزعموا أن مـن خالـف هـذه الآراء والمذاهب كان مبتدعًـا متبعًا لهواه ولـو كان متأولًا تأويـلًا سائغًا يتسع له الدليـل والبرهان، كأن رأيهم ومذهبهم هو المقياس والميـزان، أو كأنه الكتاب والسنة والإسلام،

(١) سورة ص، آية ٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، آية ٧١.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٣١/٢.

وهكـذا استزلهم الشيطان وأعماهم الغرور، ولقد نجم عن هذه الغلطة الشنيعة أن تفرق كثير من المسلمين شيعًا وأحزابًا»[1].

وقـال الشوكاني: «والمتعصـب وإن كان بصره صحيحًا، فبصيرته عميـاء، وأذنه عن سماع الحق صماء، يدفع الحق، وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أن ما نشأ عليه هو الحق، غفلة منـه وجهلًا بمـا أوجبه الله عليه من النظـر الصحيح، وتلقي ما جاء به الكتـاب والسنة بالإذعان والتسليم»[2].

فابتعـاد الخطاب الديني عـن التوسط يؤدي إلى الإعراض عن منهـج الإسلام في الاعتدال واليسـر والرحمـة، ثم إلى الصد عن سبيل الله وما ينتج عنه من التشويه والتنفير والفتنة، ثم إلى الضـلال عن الحق وإضلال الناس وإيقاعهم في الشر والفساد والشدة، فإذا كان توسط الخطاب الديني هو الذي يحقق العدل والطمأنينة والسعادة والأمن والاستقرار والسلم الأهلي في المجتمع، فـإن الابتعـاد عن التوسط يحرم المجتمع مـن كل ذلك، ويبعد الأمة عن سمـات الخيرية والبينية التـي استحقتهـا بحكم توسط منهجها الذي أراده الله عـز وجل لها بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[3]، وكذلـك بقولـه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[4]، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطريقة الصحيحة، هو سبب تحصيل سعـادة الدنيـا والآخرة للناس، ولذلك فقد قـال أبو هريرة: خير أمة أخرجـت للناس تعني: «خير الناس للناس»[5].

المطلب الثالث: العودة إلى توسط الخطاب الديني لتوطيد السلم الأهلي

إذا كان القصـد من مشروع عودة الخطاب الديني إلـى توسطه هو تحقيق السلم الأهلي في المجتمـع، فالأصوب والأسلم هـو منهج معالجة الأسباب، وليس منهج التركيز على الآثار، فالعودة إلـى توسط الخطاب الديني تكون بمعالجة أسبـاب ابتعاد ذلك الخطاب عن التوسط؛ لأن معالجة الأسبـاب هي في حـد ذاتها وقاية من الآثار والنتائج السيئة التي تترتب على الابتعاد عن التوسط، وتؤدي إلى حرمان المجتمع من السلم الأهلي وإيقاعه في التفرق والتنازع والفشل.

(١) الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ٢/٣٥.

(٢) الشوكاني، فتح القدير، ٢/٢٧٧.

(٣) سورة البقرة، آية ١٤٣.

(٤) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب «كنتم خير أمة»، ٦/٣٧، حديث رقم(٤٥٥٧).

فمعالجة الأسباب تؤدي إلى العودة للتوسط الذي يحقق السلم الأهلي، ويُنهي التفرق والتنازع والاقتتال، ويحمي المجتمع من الهلاك والفشل والدمار، وهنالك من التدابير والطرق ما يصلح لمعالجة أسباب الابتعاد بشكل عام، إضافة إلى طرق خاصة لمعالجة كل سبب بعينه، وبيان ذلك على النحو الآتي:

أولًا: الطرق العامة: من الطرق والتدابير العامة التي من شأنها إعادة الخطاب الديني إلى التوسط:

١- كشف مخططات الأعداء، وعدم الانخداع بأفكارهم وأساليبهم لتنفير الناس عن الدين، وكذلك عدم التأثر بما يتصل بأفعالهم من ظلم وفساد وهيمنة واستخفاف بكرامة الإنسان.

٢- عدم التعامل مع هذه الأساليب والأفعال بمنهج معالجة الخطأ بالخطأ، بل يعالج الخطأ بالصواب وبالإصرار على سمة التوسط، ولا يصح العلاج برَدَة الفعل التي تبعدنا عن التوسط نحو الإفراط والغلو الذي يناقض مقصود الشارع في اليسر والتيسير، ويؤدي إلى إعنات الناس والتضييق عليهم[١].

٣- لا يصح العلاج بالخروج عن التوسط نحو طرف التفريط والتحريف؛ لإرضاء الأعداء أو للتوافق مع طرحهم، بل يجب علينا الاعتزاز بانتمائنا للإسلام كمنهج حياة متكامل بصبغته الربانية[٢].

٤- يجب نشر التوعية والتثقيف بين الناس وتعريفهم أن الإسلام جاء موافقًا للفطرة، ويجب دوام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطريقة الصحيحة، أما الذين يخوضون في كلام التشكيك والتشويه، فإن استطاع المسلم أن يقيم الحجة عليهم بالحسنى فعليه أن يفعل، وإلا فعليه الإعراض عنهم ومفارقتهم، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[٣].

٥- يجب على الخطباء والدعاة استشعار مخافة الله عز وجل، وأخذ الناس بالرفق وعدم الاستعلاء عليهم، ويجب أن يحترم كل صاحب مذهب رأي المذهب الآخر دون تجريح له أو انتقاص، خاصة مع تعدد الفصائل في الساحة وحتمية الاختلاف في تكييف الواقع الذي يترتب عليه الحكم.

(١) اللويحق، مشكلة الغلو في العصر الحاضر، ٩٧٨/٣.
(٢) القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص١٣١.
(٣) سورة الأنعام، آية ٦٨.

ثانيًـا: الطرق الخاصة: بالنسبة إلى الطرق الخاصـة التي من شأنها إعادة الخطاب الديني إلـى التوسط، نجد أن كل سبب مـن أسباب الابتعاد عن التوسط له من الطرق ما يصلح لمعالجته بعينه، ومن أمثلة ذلك:

١- سبـب الجهـل يُعالج بتلقي العلـم والمعرفة من المصـادر التشريعيـة المعتبرة، وبطرق التلقي الصحيحة.

٢- سبـب اتبـاع الهوى يُعالـج بالإخلاص لله تعالى وحـده، وبمجاهدة النفـس، حتى يخرج المكلف عن اتباع هواه؛ ليكون عبدًا لله عز وجل[١].

٣- وهكـذا نجـد أن منهـج معالجة الأسباب هـو الذي يُعيـد الخطاب الديني إلـى التوسط والاعتدال، ويقي المجتمع من التفريط والتسيب والانحلال، وكذلك من الإفراط والتنازع والاقتتال، ويؤدي بالتالي إلى تحقيق السلم الأهلي وحماية المجتمع من الهلاك والفشل والدمار.

الخاتمة

يمكـن تلخيص النتائج والتوصيات التي تم التوصـل إليها من هذا البحث، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: أهم النتائج:

١- السلـم الأهلي هو عبـارة عن حالة الوفاق والوئام والتفاهم داخـل المجتمع نفسه، حيث إن سلامة العلاقات الداخلية بين أبناء المجتمع علامة على استقرار المجتمع وإمكانية نهوضه.

٢- التوسط يعني أن يبقى الإنسان في حالة الاعتدال المحمودة التي أمره الله عز وجل بها، والتي يُدركها عقله بالفطرة السليمة وتُبعده عن الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط.

٣- الخطاب الإسلامي متوسط معتدل في أصله، فالتوسط من خصائصه ومقاصده، ولسنا نحن الذين نضفي عليه التوسط، فدين الله عز وجل لا يحتاج إلى أحد ليوسطه أو يعدله.

٤- الخطـاب الإسلامـي الصحيح هو الـذي يحافظ دائمًا على توسطه، فـلا يوغل في الغلو والانغلاق، ولا في الانفتاح والتحرر من كل القيود، ولا يصح أن يُلَوَّث هذا الخطاب بسلوكيات سيئة من بعض المنتمين إليه مهما كانت الأسباب، فلا يصح معالجة الخطأ بالخطأ.

٥- تـدل العهـدة العمرية علـى قوة ارتباط المسلميـن بالقدس، وهو ارتبـاط عقدي روحي، ينطلق من كونها أرض الإسراء والمعراج، وفيها ثالث المساجد التي لا تُشد الرحال إلا إليها.

(١) الشاطبي، الموافقات، ٢/٢٦٤.

٦- تتجلى أهمية العهدة العمرية في كونها تعكس التسامح الديني في أبهى صوره، حيث أعطى الإسلام أهل الذمة حرية إظهار معتقداتهم وأداء شعائرهم الدينية في دور عبادتهم وأماكنهم الخاصة، كما أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، ولم يُكره أحدًا على الدخول في الإسلام.

٧- العلاقات الداخلية السليمة في المجتمع هي نقطة الانطلاق نحو التقدم والازدهار، وتدهور تلك العلاقات هو مؤشر التراجع والانحطاط، ولذلك فمن الطبيعي أن يسعى الأعداء لتمزيق وحدة المجتمع وإثارة العداوات والصراعات بين أفراده وفصائله وفئاته.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١- يوصي الباحث بضرورة معالجة أسباب ابتعاد الخطاب الديني عن التوسط؛ حيث إن منهج معالجة الأسباب هو الذي يُعيد الخطاب الديني إلى التوسط والاعتدال، ويقي المجتمع من التفريط والتسيب والانحلال، وكذلك من الإفراط والتنازع والاقتتال، ويؤدي بالتالي إلى تحقيق السلم الأهلي وحماية المجتمع من الهلاك والفشل والدمار.

٢- يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بكتابة الأبحاث العلمية المتعلقة بموضوع السلم الأهلي، وعقد مؤتمرات علمية تتناول موضوع الخطاب الديني وعلاقته بالسلم الأهلي.

٣- يوصي الباحث بأن يتم ربط موضوعات الخطاب الديني والسلم الأهلي بنموذج العهدة العمرية؛ وذلك من باب الوفاء لبعض ما لبيت المقدس من حقوق في أعناقنا، ولتبقى القدس ساكنة في وجدان الأمة الإسلامية؛ لتعمل على تحريرها، وليدخل المسلمون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة فاتحين محررين، بعون الله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز، الوسطية والاعتدال وأثرهما على حياة المسلمين، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٤هـ.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.
- الآمدي، أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، الإحكام في أصول الأحكام، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١.

• البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.

• البسيط، موسى، العهدة العمرية بين القبول والرد، مركز الشام، رام الله، ط١، ٢٠٠١م.

• ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المحقق: ناصر العقل، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٨، ١٤٢١هـ.

• الجديع، عبد الله بن يوسف بن يعقوب اليعقوب العنزي، تيسير علم أصول الفقه، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م.

• الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، كتاب التعريفات، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م.

• الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المحقق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

• أبو جيب، سعدي، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٨هـ.

• خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، دار القلم، ط ٨.

• الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ.

• أبو رومي، نور حلمي عبد، العهدة العمرية دراسة فقهية، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، ٢٠١٤م.

• الزبيدي، أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، مجموعة محققين، دار الهداية.

• الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، ط ٥.

• السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، جامع الأحاديث، ضبط نصوصه وخرج أحاديثه: فريق بإشراف علي جمعة، مفتي الديار المصرية.

• الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الموافقات في أصول الشريعة،

المحقق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٧م.

• الشاعـر، ناصر الدين، خطبـة الجمعة وشروط نجاحها في ظل المتغيرات المعاصرة، بحث منشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مجلد ٢٢(٣)، ٢٠٠٨م.

• الشوكانـي، محمـد بن علي بن محمد بن عبـد الله اليمني، فتح القدير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، ط ١، ١٤١٤هـ.

• أبـو صالـح، محمد ذياب، العهـدة العمرية نموذج للتسامح الدينـي في القدس، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م.

• صبـري، أريـج إبراهيم سعيد، الوسطية في الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م.

• الصنقـري، نصر بن محمد، تطوير الخطـاب الديني، دار الإيمان، الإسكندرية، ط٢، ١٤٢٧هـ.

• الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

• الطبـري، محمـد بن جريـر، جامع البيان في تأويـل القرآن، مؤسسـة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

• ابـن عاشـور، محمـد الطاهر، مقاصـد الشريعـة الإسلامية، تحقيـق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، البصائر للإنتاج العلمي، ط ١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م.

• عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٨م.

• العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الحنفي، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

• الفرفـور، محمـد عبد اللطيـف، الوسطية في الإسلام، دار النفائـس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م.

• الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

• القرضـاوي، يوسف، الصحـوة الإسلامية بين الجحود والتطـرف، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط ٦ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م.

• القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار

الكتب المصرية ودار القلم، ط ٣ ، ١٣٨٦هـ.

• قطب، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط١٧، ١٤١٢هـ.

• قلعجي، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

• ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، المحقق: مجدي فتحي السيد، دار الحرمين للطباعة ودار الحديث، القاهرة.

• ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط ٧، ١٤١٥هـ.

• ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

• اللويحق، عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مشكلة الغلو في العصر الحاضر: الأسباب والآثار والعلاج، ط ١، ١٤١٩هـ ، ١٩٩٨م.

• مصطفى وآخرون، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: دار الدعوة.

• ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن علي الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت – لبنان، ط ٣ ، ١٤١٤هـ.

• الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، الدراسات الخاصة في ستة مجلدات، المجلد الثاني في الدراسات التاريخية، ط١ ، بيروت،١٩٩٠م.

• الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، الوسطية في الإسلام، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط ١ ، ١٣٩١هـ.

• ابن نبي، مالك، سلسلة مشكلات الحضارة – ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، إصدار ندوة مالك بن نبي، دار الإنشاء للطباعة والنشر، طرابلس – لبنان، توزيع دار الفكر، دمشق – سوريا، ط ٢ ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م.

• النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد الخراساني، المجتبى من السنن (السنن الصغرى)، المحقق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م.

• نوح، السيد محمد، آفات على الطريق، دار الوفاء للنشر، المنصورة، ط١٢، ١٤١٥هـ.